

قيس بن ذريح

قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني الملقب بقيس لبيد والمتوفي عام 688 م

قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني.

كان أخ الإمام الحسين في الرضاعة، أذ إن أم قيس أرضعت الإمام الحسين.

اشتهر بقيس لبني لأنه أحب لبني بنت الحباب الكعبية التي أحبته بدورها، فدافع أبوه عن ذلك إلى أن توسط الإمام الحسين، وهكذا تزوج قيس من لبني ولكن لم يرزقا أولاداً، فأكره ذريح ابنه قيساً على طلاق لبني فأثر ذلك في عقله وجعل يهيم على وجهه. وتناول شقاء العاشقين فماتت لبني ثم مات قيس وشيخاً بعدها ودفن إلى جانبها.

قيس بن ذريح من عشاق العرب المشهورين. معظم شعره في لبني، شعر جميل المعاني سهل التراكيب، متين السبك، وأكثره مقطعات وقد تطول قصائده.

قال أبو الفرج الأصفهاني في "الأغاني": ((هو، فيما ذكر الكلبي والقحذمي وغيرهما، قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة وهو علي بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وذكر أبو شراة القيسي أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة؛ وسائر النسب متفق. واحتج بقول قيس:

فإن يك تهامي بلبني غواية فقد يا ذريح بن الحباب غويت

وذكر القحذمي أن أمه بنت سنة بن الداهل بن عامر الخزاعي، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سنة شاعر، وهو الذي يقول:

ضربوا الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه محموم

وفيه يقول قيس:

أنبت أن لخالي هجمة حبساً كأنهن بجنب المشعر النصل
قد كنت فيما مضى قدماً تجاوزنا لا ناقة لك ترعاها ولا جمل
ما ضر خالي عمراً لو تقسمها بعض الحياض وجم البئر محتفل

هو رضيع الحسين بن علي: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني جزء بن قطن قال حدثنا جساس بن محمد بن عمرو أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين: أن قيس بن ذريح كان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعت أم قيس.

أخبرنا بخبر قيس ولبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطة وأخبار منثورة ومنظومة، فألفت ذلك أجمع ليتسق حديثه إلا ما جاء مفرداً وعسر إخراجها عن جملة النظم فذكرته على حدة. فمن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوز به إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قتيبة، والحسن بن علي عن محمد بن موسى بن حماد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جزء بن قطن عن جساس بن محمد عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي وعلي روايته أكثر المعول. ونسخت أيضاً من أخباره أيضاً المنظومة أشياء ذكرها القحذمي عن رجاله، وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالد بن جمل وثنفاً حكاها اليوسفي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد عن جميل عن ابن أبي جناح الكعبي. وحكي كل متفق فيه متصلاً، وكل مختلف في معانيه منسوباً إلى راويه. قالوا جميعاً: كان منزل قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة. وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسرف واحتج بقوله:

الحمد لله قد أمست مجاورة أهل العقيق وأمسينا على سرف

قالوا: فمر قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها والحي خلوف والخيمة خيمة لبني بنت الحباب الكعبية، فاستسقى ماءً، فسقته وخرجت إليه به، وكانت امرأةً مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أنتنزل فتنبرد عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فحمر له وأكرمه. فانصرف قيس وفي قلبه من لبني حرًّا لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي. ثم أتاه يوماً آخر وقد اشتد وجده بها، فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفت به؛ فشكا إليها ما يجد بها وما يلقى من حبها، وشكت إليه مثل ذلك فأطالت؛ وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه. فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بني، عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك. وكان ذريح كثير المال موسراً، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس وقد ساء ما خاطبه أبوه به. فأتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحب. فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه. فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبي لبني. فلما بصر به أعظمه ووثب إليه، وقال له: يا بن رسول الله، ما جاء بك؟ ألا بعثت إلي فأتيتك! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتك خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذريح. فقال: يا بن رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبةً علينا. فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظماً له وقالوا له مثل قول الخزاعيين. فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبني لابنك قيس. قال: السمع والطاعة لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا لبني فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها، وزفت إليه بعد ذلك.

فأقامت معه مدة لا ينكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبر الناس بأمه، فألهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمه في نفسها وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري؛ ولم تر للكلام في ذلك موضع حتى مرض مرضاً شديداً. فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيسٌ وما يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلاله، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً، وألحت عليه في ذلك. فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بولود؛ فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقر به عينك وأعيننا. فقال قيس: لست منزوجاً غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإن في مالي سعة فتسر بالإمام. قال: ولا أسوءها بشيء أبداً والله. قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقته. فأبى وقال: الموت والله علي أسهل من ذلك، ولكني أخيرك خصلةً من ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولداً غيري. قال: فما في فضلة لذلك. قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعاً لو مت في عتلي هذه. قال: ولا هذه. قال ك فادع لبني عندك وأرتحل عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي. قال: لا أرضى أو تطلقها، وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبني، فكان يخرج فيقف في حر الشمس، ويجيء قيسٌ فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفىء الفء فينصرف عنه، ويدخل إلى لبني فيعانقها وتعانقه ويكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تطع أباك فتهلك وتهلكني. فيقول: ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنة وقال. خالد بن كلثوم: ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعين يوماً ثم طلقها. وهذا ليس بصحيح.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريح قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو: أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هجرني أبوي في لبني عشر سنين أستأذن عليهما فيرداني حتى طلقتهما. قال ابن جريح: وأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي ذريحاً أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرقت بينهما؟ أما علمت أن عمر بن الخطاب قال: ما أبالي أفرقت بينهما أو مشيت إليهما بالسيف. وروى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الزمادي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح بن سنة أبي قيس: أحل لك أن فرقت بين قيس ولبني؟! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أبالي أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف. قالوا: فلما بان لبني بطلاقه إياها وفرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون. وتذكر لبني وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحر نشيج. وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيسٌ يدخل عليها. فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل تحمل أثنائها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: ويحك! ما دهاني فيكم؟ فقالت: لا تسألني وسل لبني. فذهب ليلم بخبائها فيسألها، فمنعه قومه. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! هذه لبني ترحل الليلة أو غداً. فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول:

حذار الذي قد كان أو هو كائن

وإني لمفن دمع عيني بالبكا

وقالوا غداً أو بعد ذلك بليلةٍ
وما كنت أخشى أن تكون منيتي
فراق حبيبٍ لم يبين وهو بائن
بكفيك إلا أن ما حان حائن

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال زبير بن بكار حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه عن عجز لهم يقال حمادة بنت أبي مسافر قالت: جاورت آل ذريح بقطيع لي فيه الرائمة وذات البو والحائل والمتبع. قال: فكان قيس بن ذريح إلى شرف في ذلك القطيع ينظر إلى ما يلقى فيتعجب. فقلما لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لبني فكد يموت، ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يساكن قيساً. فطعنت فقال:

أيا كيداً طارت صدوعاً نوافداً
فأقسم ما عمش العيون شوارفاً
تشممه لو يستطعنس ارتشفنه
رئمن فما تتحاش منهن شارفاً
بأوجد مني يوم ولت حمولها
وكل لمات الزمان وجدتها
ويا حسرتا ماذا تغلغل في القلب
روائم بو حائمت على سقب
إذا سفنه يزدن نكباً على نكب
وحالفن حبساً في المحول وفي الجذب
وقد طلعت أولى الركاب من النقب
سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال سمعت ابن عائشة يقول: قال إسحاق بن الفضل الهاشمي: لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح:

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب

قال وقال ابن النطاح قال أبو دعامة: خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، وشعره في ذلك: خرج قيس في فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لبني، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها. فاشتغل الفتيان بالصيد؛ فلما قضا وطرحهم منه رجعوا إليه وهو واقف، فقالوا له: لقد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنت لم ترد الصيد وإنما أردت لقاء لبني، وقد تعذر عليك فانصرف الآن. فقال:

وما حائمتُ حمن يوماً وليلة
عوافي لا يصدرن عنه لوجهة
يرين حبات الماء والموت دونه
بأجد مني حر شوق ولو عة
خليلي إنني مبيتٌ أو مكلّمٌ
أنل حاجتي لوحدي ويا رب حاجة
فإن أحق الناس ألا تجاوزا
ومن قادني للموت حتى إذا صفت
على الماء يغشين العصي حوان
ولا هن من برد الحياض دوان
فهن لأصوات السقاة روان
عليك ولكن العدو عداني
لبيني بسري فامضيا وذراني
قضيت على هولٍ وخوف جنان
وتطرحا من لو يشاء شفاني
مشاربه السم الذعاف سقاني

قال: فأقاموا معه حتى لقيها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرضٌ لنفسك وفاضحي. فقال لها:

صدعت القلب ثم زرت فيه
تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ
هواك فليم فالتأم الفطور
ولا حزن ولم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومي وشعر قيس: وقال القحزمي حدثني أبو الوردان قال حدثني أبي قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس:

صدعت القلب ثم زرت فيه
هواك فليم فالتأم الفطور

فصاح بجارية له سنديّة تسمى زبدة، فقال: أي زبدة عجلي. فقالت: أنا أعجن. فقال: ويحك! تعالي ودعي العجين. فجاءت فقال لي: أنشد بيتي قيس فأعدتهما. فقال لها: يا زبدة، أحسن قيس وإلا فأنت حرة! إرجعي الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرد.

قالوا: وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبني ويقول: فألا رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل ولم يرني! فكان إذا فقدني أقطع عما يفعله وإذا فقدته لم أخرج من فعله! وما كان علي لو اعتزلته وأقمت في حبيها أو في بعض بوادي العرب، أو عصيته فلم أطعه! هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد! وهأنذا ميتٌ مما فعلته، فمن يرد روعي إلي! وهل لي سبيل إلى لبني بعد الطلاق وكلما قرع نفسه وأنبها بلون من التقرير والتأنيب بكى أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضع على آثارها ثم قال: صوت

ويلي وعولي ومالي حين تفلتني
قد قال قلبي لطرفي وهو يعذله
قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني
من بعد ما أحرزت كفي بها الظفرا
هذا جزاؤك مني فاكدم الحجر
فاصبر فما لك فيها أجر من صبورا

غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن حبش. وفي الثالث والأول خفيف رملٍ يقال إنه لابن الهربذ.

قالوا وقال أيضاً:

باننت لبيني فأنت اليوم متبول
أستودع الله لبني إذ تفارقني
وقد أراني بلبني حق مقتنع
والرأي عندك بعد الحزم مخبول
بالرغم مني وقول الشيخ مفعول
والشمل مجتمّع والحبل موصول

قال خالد بن كلثوم وقال:

ألا ليت لبني في خلاء تزورني
صحا كل ذي لبٍ وكل متيم
فيامن لقلبٍ ما يفيق من الهوى
فأشكو إليها لو عتي ثم ترجع
وقلبي بلبني ما حبيت مروع
ويامن لعين بالصباة تدمع

قالوا وقال في ليلته تلك:

قد قلت للقلب لا ليناك فاعترف
قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها
حتى تكفني الواشون فاقتلت
هيهات هيهات قد أمست مجاورةً
واقض اللبانة ما قضيت وانصرف
أفٍ لكثرة ذاك القيل والحلف
لا تأمن أبداً من غش مكثف
أهل العقيق وأمسينا على سرف

قال: وسرف على ستة أميال من مكة. والعقيق: واد باليمامة-

حي يمانون والبطحاء منزلنا
هذا لعمر ك شملٌ غير مؤتلف

من شعره في لبني وقد سنحت له ظبية: قالوا: فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنسم روائحها، فسنحت له ظبيةً فقصدتها فهربت منه فقال:

ألا يا شبه لبني لا تراعي
ولا تتيمي قلل القلاع

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

فوا كبدي وعاودني رداي
تكنفني الوشاة فاز عجوني
فأصبحت الغداة ألوم نفسي
كمغبون يعرض على يديه
بدار مضيعة تركتك لبنى
وقد عشنا نلذ العيش حيناً
ولكن الجميع إلى افتراق

وكان فراق لبنى كالخداع
فيا لله للواشي المطاع
على شيء وليس بمستطاع
تبيين غبته بعد البياح
كذاك الحين يهدى للمضاع
لو أن الدهر للإنسان داع
وأسباب الحتوف لها دواع

غناه الغريض من القدر الأوسط من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي. ولشارية في البيتين الأولين ثقيل أول آخر بالوسطى. ولابن سريج رمل بالوسطى عن الهشامي في:

بدار مضيعة تركتك لبنى

وقبله:

فوا كبدي وعاودني رداي

ولسياط في البيتين الأولين خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

أغربت أمه فتيات الحي بأن يعين عنده لبنى ليسلوها فلم يسئل، وشعره في ذلك: حدثني عمي عن الكراني عن العتبي عن أبيه قال: بعثت أم قيس بن ذريح بفتيات من قومه إليه يعين إليه لبنى ويعينه بجزعه وبكائه ويتعرضن لوصاله، فأتينه فاجتمعن حواليه وجعلن يمازحنه ويعبن لبنى عنده ويعيرنه ما يفعله. فلما أظن أقبل عليهن وقال: صوت

يقر بعيني قربها ويزيدني
وكم قائل قد قال تب فعصيته
فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي

بها كلفاً من كان عندي يعيها
وتلك لعمرى توبه لا أتوبها
بأول نفس غاب عنها حبيبها

- غناه دحمان ثقيل أول بالوسطى. وفيه هزج بالبنصر لسليم، وذكر حبش أنه لإسحاق - قال: فانصرفن عنه إلى أمه فأبأسنها من سلوته. وقال سائر الرواة الذين ذكروهم: اجتمع إليه النسوة فأظن الجلوس عنده ومحادثته وهو ساه عنهن، ثم نادى: يا لبنى! فقلن له: ما لك ويحك! فقال: خدرت رجلي، ويقال: إن دعاء الإنسان باسم أحب الناس إليه يذهب عنه خدر الرجل فناديتها لذلك. فقم عنده، وقال:

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها
دعوت التي لو أن نفسي تطيعني
برت نلها للصيد لبنى وريشت
فلما رميتني أقصدتني بسهما
وفارقت لبنى ضلة فكأنني
فيا ليت أني مت قبل فراقها
فصرت وشيخي كالذي عثرت به
فقامت ولم تضرر هناك سوية
فإن يك تهيامي بلبنى غواية

فناديت لبنى باسمها ودعوت
لفارقتها من حبها وقضيت
وريشت أخرى مثلها وبريت
وأخطأتها بالسهم حين رميت
قرنت إلى العيوق ثم هويت
وهل ترجعن فوت القضية ليت
غداة الوغى بين العداة كميت
وفارسها تحت السنايك ميت
فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فلا أنت ما أملت في رأيتَه
فوطنٌ لهلكي منك نفساً فإنني
ولا أنا لبني والحياة حويت
كأنك بي قد يا ذريح قضيت

حديثه في مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبني، وشعره في ذلك: وقال خالد بن كلثوم: مرض قيس، فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه ويحدثه لعله أن يتسلى أو يعلق بعضهن، ففعلن ذلك. ودخل إليه طبيب ليداويه والفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطنن السؤال عن سبب علته، فقال: صوت

عبد قيسٍ من حب لبني ولبني
وإذا عادني العوائد يوماً
ليت لبني تعودني ثم أفضي
ويح قيس لقد تضمن منها
داء قيس والحب داءٌ شديد
قالت العين لا أرى من أريد
إنها لا تعود فيمن يعود
داء خبلٍ فالقلب منه عميد

- غناه ابن سريج خفيف رملٍ عن الهشامي. وفيه للحجبي ثقيلٌ أول بالوسطى. وفيه ليحيى المكي رملٌ - قالوا: فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلة؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال: صوت

تعلق روحي روحها قبل خلقنا
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً
ولكنه باق على كل حادثٍ
ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
وليس إذا متنا بمنصرم العهد
وزائرنا في ظلمة القبر والحد

- غناه الغريض ثقيلاً أول بالوسطى من رواية حبش - قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوي والمعائب وما تعافه النفس من أقدار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخف ما بها. فقال:

إذا عبتها شبهتها البدر طالعاً
لقد فضلت لبني على الناس مثل ما
وحسبك من عيب لها شبه البدر
على ألف شهر فضلت ليلة القدر

صوت

إذا ما مشت شبراً من الأرض أرجفت
لها كفلٌ يرتج منها إذا مشت
من البهر حتى ما تزيد على شبر
ومتنٌ كغصن اللبان مضطمر الخصر

- غنى في هذين البيتين ابن المكي خفيف رمل بالوسطى. وفيهما رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى ابن طنبورة عن الهشامي - قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنبه ولأمه وقال له: يا بني! الله الله في نفسك! فإنك ميت إن دمت على هذا! فقال:

وفي عروة العذري إن مت أسوء
وبي مثل ما ماتا به غير أنني
وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند
إلى أجلٍ لم يأتني وقته بعد

صوت

هل الحب إلا عبرةٌ بعد زفرةٍ
وفيض دموع تستهل إذا بدا
وحرٌّ على الأحشاء ليس له برد
لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدا

غنى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن علي، ثقيلاً أول بالوسطى عن الهشامي.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له: وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير، وأخبرنا اليزيدي عن ثعلب عن الزبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أويس قال: جلست أنا وأبو السائب في النباليين، فأنشدني قول قيس بن ذريح:

عيد قيسٌ من حب لبني ولبنى
ليت لبني تعودني ثم أفضي

داء قيس والحب داءٌ شديد
إنها لا تعود فيمن يعود

قال: فأنشدته أنا لقيس:

تعلق روعي روحها قبل خلقنا
فزاد كما زدنا وأصبح نامياً

ولكنه باق على كل حادثٍ
ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد

وليس إذا متنا بمنتقض العهد
وزائرنا في ظلمة القبر والحد

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويه. فدخل زقاق النباليين وجعلت أرددها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها. رجع الخبر إلى سياقته.

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوجت لبني، وما قال في ذلك من الشعر: وقال خالد بن جمل: فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأةً جميلة فلعله أن يسلو بها عن لبني. فدعاها إلى ذلك فأباه وقال:

لقد خفت ألا تقتنع النفس بعدها
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها

بشيء من الدنيا وإن كان مقتعا
وتأبى إليها النفس إلا تطلعا

فأعلمهم أبوه بما رد عليه. قالوا: فمره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فعمل عينه أن تقع على امرأةٍ تعجبه. فأقسم عليه أبوه أن يفعل. فسار حتى نزل في حي من فزاره، فرأى جاريةً حسناء قد حسرت برقع خزر عن وجهها وهي كالبدنر ليلة تمه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: لبني. فسقط على وجهه مغشياً عليه، فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون! فأفاق فنسبته فانتسب. فقالت: قد علمت أنك قيس، ولكن نشدتك بالله وبحق لبني إلا أصبت من طعامنا. وقدمت إليه طعاماً، فأصاب منه بإصبعه. وركب فأتى على أثره أخ لها كان غائباً، فرأى مناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى رده إلى منزل له، وحلف عليه ليقمين عنده شهراً. فقال له: لقد شققت علي، ولكنني سأتابع هواك، والفزاري يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصهر. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبة، ولكنني في شغل لا ينتفع بي معه. فلم يزل يعاوده والحي يلومونه ويقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبة. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبني، وقال له: أنا أسوق عنك صداقها. فقال: أنا والله يا أخي أكثر قومي مالاً، فما حاجتك إلى تكلف هذا؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المهر. ففعل وأعلم أباه الذي كان منه، فسره وساق المهر عنه. ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يروه هس إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أياماً كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاري أن خبر تزويجه بلغ لبني فغمها وقالت: إنه لغدار! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أحببهم، وقد كان أبوها شكى قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعض الطلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه إن تعرض لها، وأمر أباه أن يزوجه رجلاً يعرف بخالد بن حلزة من بني عبد الله بن غطفان - ويقال: بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش فزوجها أبوها منه قال: فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها:

لبيني زوجها أصب
له فضلٌ على الناس
وقيسٌ ميثٌ حيٌّ
فلا يبعده الله

ح لا حر بواديه
بما باتت تتاجيه
صريحٌ في بواكيه
وبعداً لنواعيه

قال: فجزع قيس جزءاً شديداً وجعل ينشج أحر نشيج ويبكي أحر بكاء. ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن ها هنا! قد نقلت لبنى إلى زوجها!. وجعل الفتیان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خباتها فنزل عن راحلته وجعل يتمتع في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء. ثم قال: صوت

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكاً	إلى الله فقد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون فجسمه	نحيلٌ وعهد الوالدين قديم
بكت دارهم من نأيهم فتهللت	دموعي فاي الجاز عين ألوم
أستعبراً يبكي من الشوق والهوى	أم أحر يبكي شجوه وبهيم

لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. ولعريب فيهما ثاني ثقيل. وفي الثالث والرابع لمياسة خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وحبش والهشامي وتام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله:

تهيضني من حب لبنى علائقٌ	وأصناف حب هولهن عظيم
ومن يتعلق حب لبنى فؤاده	يمت أو يعش ما عاش وهو كليم
فاني وإن أجمعت عنك تجلداً	على العهد فيما بيننا لمقيم
وإن زماناً شئت الشمل بيننا	وبينكم فيه العدا لمشوم
أفي الحق هذا أن قلبك فارغٌ	صحيح وقلبي في هواك سقيم

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خلطت بشعره. ولكنها في هذه الرواية منسوبة إليه.

شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه.

وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عدي، ورواه عمر بن شبة أيضاً: أن أبا لبنى شخص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرضه لابنته بعد طلاقه إياها. فكتب معاوية إلى مروان أبو سعيد بن العاص يهدر دمه إن ألم بها وأن يشتد في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لبنى كتاباً وكيداً، ووجهت لبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تعلمه ما جرى وتحذره. وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له: انتهى بك الأمر إلى أن يهدر السلطان دمك! فقال:

صوت

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها	مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا	ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى	ومن حرق تعتادني و زفير
ومن حرق للحب في باطن الحشى	وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة	بكاء حزين في الوثاق أسير
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى	بأنعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لهم	بطون الهوى مقلوبة لظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا	ولكنما الدنيا متاع غرور

-هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح. وذكر الزبير بن بكار أنه لجده عبد الله بن مصعب - غنى يزيد حوراء في الأول و الثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى. وغنى إبراهيم في الأول والثاني لحناً من كتابه غير مجنس. وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقيل بالوسطى. وفي الخامس وما بعده لعريب ثقيلٌ أول ابتداءه نشيد. وقال ابن الكلبي في خبره: قال قيس في اهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تك لبنى قد أتى دون قربها	حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيل
-----------------------------	--------------------------

فإن نسيم الجو يجمع بيننا
وأرواحنا بالليل في الحي تلتقي
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا
إلى أن يعود الدهر سلماً وتنقضي

ونبصر قرن الشمس حين تزول
ونعلم أنا بالنهار نقيلاً
سما نرى فيها النجوم تجول
تراثٌ بغاها عندنا ونحول

وروى القحذمي ها هنا:

فما غشيت عينيك من ذاك عبرة
إذا أنت لم تبكي علي جنازةً

وعيني على ما بي بذكراك تدمع
لديك فلا تبكي غداً حين أرفع

قال: فبلغتها الأبيات، فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاءً كثيراً. ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت:
إنما أبقى عليك وأخشى أن تقتل، فأنا أتحامك لذلك، ولو هذا لما افترقنا. وودعته وانصرفت.

قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقةً وهو لا يعرفه: قال: ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من إبله وأعلم أباه أنه يريد
المدينة ليبيعه ويمتار لأهله بثمنها. فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى، فعاتبه وجزره عن ذلك؛ فلم يقبل منه وأخذ
إبله وقدم بها المدينة. فبينما هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقاة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إياها. فقال له:
إذا كان غداً فأتني في كثير بن الصلت فاقبض الثمن؛ قال: نعم. ومضى زوج لبنى إليها فقال لها: إني ابتعت ناقاةً
من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها، فأعدي له طعاماً، ففعلت. فلما كان من الغد جاء قيس
فصوت بالخدم: قولي لسيدك: صاحب الناقاة بالباب. فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخدم: قولي
له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبنى للخدم: قولي له: يا فتى، مالي أراك أشعث أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفس ثم
قال لها: هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة، وبكى. فقالت لها لبنى: قولي له: حدثنا
حديثك. فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجاب وقالت: حسبك! قد عرفنا حديثك! وأسديت الحجاب. فبهت ساعة
لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج. فناداه زوجها: ويحك! ما قصتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئت
زدناك. فلم يكلمه وخرج فاغترز في رحله ومضى. وقالت لبنى لزوجها: ويحك! هذا قيس بن زريح. فما حملك
على ما فعلت به؟ قال: ما عرفته. وجعل قيس يبكي في طريقه ويندب نفسه ويوبخها على فعله.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: تزوج رجل
من أهل المدينة يقال له أبو درة امرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بطينة؛ فلقبه زوجها
الأول فضربه ضربة شلت يده منها. فلقبه أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا درة! أضربك أبو بطينة في
زوجته؟ قال: نعم. أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن زريح في زوجته لبنى:

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ
وللحائم العطشان ري بريقها

وللكف مرتادٌ وللعين منظر
وللمرح المختال خمر ومسكر

قال: وكانت زوجة أبي درة هذه سوداء كأنها خنفساء.

مرضه بعد هذه الحادثة: قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه
وسألوه عن حاله فلم يخبرهم، ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه ورجال قومه
فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: ويحكم! أتروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوةً بعد اليأس فاخترت الهم
والبلاء، أو لي في ذلك صنع! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به. فجعل أبوه يبكي ويدعو به بالفرج والسلوة.
فقال قيس:

لقد عذبتني يا حب لبنى
فإن الموت أروح من حياةٍ
وقال الأقربون تعز عنها

فقع إما بموتٍ أو حياةٍ
تدوم على التباعد والشتات
فقلت لهم إذا حانت وفاتي

دست إليه رسولاً يسأله لم تزوج حتى تزوجت هي: قال: ودست إليه لبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له: استنشده، فإن سألك عن سبتك فانتسب له خزاعياً، فإذا أنشدك فقل له: لم تزوجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوج بعدك؟ واحفظ ما يقول لك حتى ترده علي. فأثاه الرسول فسلم وانتسب خزاعياً، وذكر أنه من أهل الشام واستنشده؛ فأنشده قوله:

فأقسم ما عمش العيون شوارفُ
روائم بو حانياتٍ على سقب

وقد مضت هذه الأبيات فقال له رجل: فلم تزوجت بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها، وأنه ما مد يده إليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فأنتي جارٌ لها وإنها من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك؛ فحملني إليها ما شئت أوده إليها. قال: تعود إلي إذا أردت الرحيل، فعاد إليه لما أراد الرحيل. فقال تقول لها:

ألا حي لبنى اليوم إن كنت غاديا
وأهد لها منك النصيحة إنها
وقل إنني والراقصات إلى منى
أصونك عن بعض الأمور مضنة
تساقط نفسي حين ألقاك أنفساً
فإن أحيأ أو أهلك فلست بزائل
أقول إذا نفسي من الوجد أصعدت
وبين الحشى والنحر مني حرارة
ألا ليت لبنى لم تكن لي خلة
سلي الناس هل خبرت سرك منهم
يقول لي الواشون لما تظاهروا
لعمري لقبل اليوم حملت ما ترى
خليلي مالي قد بليت ولا أرى
ألا يا غراب البين مالك كلما
أعندك علم الغيب أم لست مخبري
جزعت عليها لو أرى لي مجزعا
حياتك لا تغلب عليها فإنه
تمر الليالي والشهور ولا أرى
فما عن نوالٍ من لبينى زيارتي
ولكنها صدت وحملت من هوى

وألّم بها من قبل أن لا تلاقيا
قليلٌ ولا تخشى الوشاة الأدانيا
بأجبل جمع يتظرون المناديا
وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا
يردن فما يصدرن إلا صواديا
لكم حافظاً ما بل ريق لسانيا
بها زفرةٌ تعنادني هي ما هيا
ولو عة وجدٍ تترك القلب ساهيا
ولم ترني لبنى ولم أدر ما هيا
أخا ثقةً أو ظاهر الغش باديا
عليك وأضحى الحبل للبين واهيا
وأنذرت من لبنى الذي كنت لاقيا
لبينى على الهجران إلا كما هيا
ذكرت لبينى طرت لي عن شماليا
عن الحي إلا بالذي قد بدا ليا
وأفنيتم دمع العين لو كان فانيا
كفى بالذي تلقى لنفسك ناهيا
ولو عي بها يزداد إلا تماديا
ولا قلة الإمام أن كنت قاليا
لها ما يؤود الشامخات الرواسيا

وهذه القصيدة تخط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلما يتميزان.

غنى الحسين بن محرز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بذل والهشامي.

أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت: حدثني المدائني عن عوانة عن يحيى بن علي الكناني قال: شهر أمر قيس بالمدينة وغنى في شعره الغريض ومعبد ومالك وذوهم، فلم يبق شريف ولا وضع إلا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس مما به. وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال: قد فضحتني بذكرك. فغضبت وقالت: يا هذا، إنني والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دلس أمرى عليك، ولقد علمت أنني كنت زوجته قبلك وأنه أكره على طلاقى. ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألم بحينا، فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل، فتزوجتك. وأمرك الآن إليك، ففارقني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها وجعل

بأيتها بجواري المدينة يغنيها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك؛ فلا تزداد إلا تمادياً وبعداً، ولا تزال تبكي كلما سمعت شيئاً من ذلك أحر بكاء وأشجاه.

وسط بريكة في لقائها، وشعره في ذلك: رجع الحديث إلى سياقته. وقال الحرمازي وخالد بن جمل: كانت امرأة من موالي بني زهرة يقال لها بريكة من أظرف النساء وأكرمهن، وكان لها زوج من قریش له دار ضيافة. فلما طالت علة قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لبني فارحل إلى المدينة. فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بريكة. فوثب علمانه إلى رحل قيس ليحطوه. فقال: لا تفعلوا فلست نازلاً أو ألقى بريكة فإني قصدتها في حاجة؛ فإن وجدت لها عندها موضعاً نزلت بكم وإلا رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجت إليه فسلمت عليه ورحبت به وقالت: حاجتك مقضية كائنة ما كانت، فانزل. فنزل ودنا منها فقال: أذكر حاجتي؟ قالت: إن شئت. قال: أنا قيس بن ذريح. قالت: حياك الله وقربك! إن ذكرك لجديداً عندنا في كل وقت. قال: وحاجتي أن أرى لبني نظرةً واحدةً كيف شئت. قالت: ذلك لك علي. فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمره، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال: لاطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك. ففعلت وزارتها مراراً، ثم قالت لزوجها: أخبرني عنك: أنت خيرٌ من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلبني خيراً مني؟ قال: لا. قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها وسألته الزيارة وأعلمتها أن قيساً عندها. فتسارعت إلى ذلك وأتتها. فلما رآها ورآته بكيا حتى كادا يتلفان. ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها، ويسألها فتخبره. ثم قالت: أنشدني ما قلت في علتك؛ فأنشدها قوله:

أعالج من نفسي بقايا حشاشية	على رفق والعائدات تعود
فان ذكرت لبني هششت لذكرها	كما هش للثدي الدرور وليد
أحبيب لبني من دعاني تجلداً	وبي زفرا ت تتجلى وتعود
تعيد إلى روجي الحياة وإنني	بنفسي لو عاينتنني لأجود

قال: وفي هذه القصيدة يقول: صوت

ألا ليت أياماً مضين تعود	فان عدن يوماً إنني لسعيد
سقى دار لبني حيث خلت وخيمت	من الأرض منهل الغمام رعود

شكا إلى يزيد ما به وامتدحه فحقن دمه: - غنت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل قالوا: ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه؛ فرق له وقال: سل ما شئت، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت. قال: لا أريد ذلك، ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمي. قال: لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وجب أن تمنعه، فأقم حيث شئت؛ وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد، وأزال ما كان كتب له في إهدار دمه؛ فقدم إلى بلده؛ وبلغ الفزاريين خبره وإمامه بلبنى، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى يعني أبا الجارية التي تزوجها: يا أخي ما غررتك من نفسي، ولقد أعلمتك أنني مشغول عن كل أحد، وقد جعلت أمر أختك إليك فأمض فيه من حكمك ما رأيت. فتكرم الفتى على أن يفرق بينهما، فمكنت في حباله مدة ثم ماتت.

لقيه عياش السعدي ذاهلاً شارد اللب وأنشده من شعره فيها: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال: أقيمت ذات يوم من الغاية؛ فلما كنت بالمزاد، إذا ربع حديث العهد بالساكن، وإذا رجل مجتمع في جانب ذلك الربع يبكي ويحدث نفسه. فسلمت فلم يرد علي سلاماً. فقلت في نفسي: رجل ملتبس به فوليت عنه. فصاح بي بعد ساعة: وعليك السلام، هلم هلم إلي يا صاحب السلام! فأتيته فقال: أما والله لقد فهمت سلامك ولكني رجل مشترك اللب يضل عني أحياناً ثم يعود إلي. فقلت ومن أنت؟ قال: قيس بن ذريح اللبني. قلت صاحب لبني؟ قال: صاحب لبني لعمرى وقتيلها! ثم أرسل عينيه كأنهما مزادتان؛ فما أنسى حسن قوله:

أبائنة لبني ولم تقطع المدى	بوصل ولا صرم فبيأس طامع
نهاري نهار الوالهي صباية	وليلي تنبو فيه عني المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلواً وإنما	تقسم بين الهالكين المصارع

فلولا رجاء القلب أن تسعف النوى
له وجباتٌ إثر لبنى كأنها
أبى الله أن يلقى الرشاد متيماً
هما برحابي معولين كلاهما
لما حبسته بينهن الأضالع
شقائِقُ برق في السماء لوامع
ألا كل أمر حم لآبد واقع
فؤادٌ وعينٌ جفنها الدهر دامع

عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال، وأخبرنا به وكيع عن أبي أيوب المدني، قال الزبير قال حدثتني ظبية قالت: سمعت عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد زوجي قول قيس بن ذريح:

إذا ذكرت لبنى تأوه واشتكى
يبيت ويضحى تحت ظل منيةٍ
قتيل للبنى صدع الحب قلبه
تأوه محموم عليه البلابل
به رمقٌ تكي عليه القبائل
وفي الحب شغلٌ للمحبين شاغل

فصاح زوجي: أوه! واحرباه واسلباه!. ثم أقبل على ابن جندب فقال: ويلك! أنتشد هذا كذا! قال: فكيف أنشده؟ قال: لم لا تتأوه كما يتأوه وتشتكي كما يشتكي!.

استنشد ابن أبي عتيق أحر ما قال في لبنى: وقال القحذمي: قال ابن أبي عتيق لقيس يوماً: أنشدني أحر ما قلت في لبنى. فأنشده قوله:

واني لأهوى النوم في غير حينه
تحدثني الأحلام أنني أراكم
شهدت بأني لم أحل عن مودةٍ
وأن فؤادي لا يلين إلى هوى
لعل لقاءً في المنام يكون
فيا ليت أحلام المنام يقين
وأني بكم لو تعلمين ضنين
سواك وإن قالوا بلى سيلين

فقال له بن أبي عتيق: لقل ما رضيت به منها يا قيس. قال: ذلك جهد المقل.

غنى في البتين الأولين ففا النجار ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش.

أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لقيس بن ذريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره:

سقى طلل الداري التي أنتم بها
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي
سأصرم لبنى حبلك اليوم مجملاً
وسوف أسلي النفس عنك كما سلا
وإن مسني للضر منك كآبةٍ
يقولون صب بالنساء موكلٌ
ندمت على ما كان مني ندامةٍ
فقدتك من نفس شعاع ألم أكن
فقربت لي غير القريب وأشرفت
إلى الله أشكو نيةً شقت العصا
فيا حجرات الدار حيث تحملوا
حياً ثم وبلٌ صيفٌ وربيع
فهل لي إلى لبنى الغداة شفيح
وإن كان صرم الحبل منك يروع
عن البلد النأي البعيد نزيح
وإن نال جسمي للفراق خشوع
وما ذاك من فعل الرجال بديع
كما ندم المغبون حين يبيع
نهيتك عن هذا وأنت جميع
هناك ثانياً ما لهن طلوع
هي اليوم شتى وهي أمس جميع
بذي سلم لا جادكن ربيع

الديوان

أَمْسُ تَرَابِ أَرْضِكَ يَا لَبِئْتِي

أَمْسُ تَرَابِ أَرْضِكَ يَا لَبِئْتِي
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَمْسَسْ تُرَابًا

وَمَا أَحْبَبْتُ أَرْضَكُمْ وَلَكِنْ

وَمَا أَحْبَبْتُ أَرْضَكُمْ وَلَكِنْ
أَقِيلُ إِثْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرَابًا
لَقَدْ لَأَقَيْتُ مِنْ كَلْفِي بَلْبِي
بَلَاءً مَا أُسِيغُ بِهِ الشَّرَابًا
إِذَا نَادَى الْمُنَادِي بِكُسْمِ لَبْنِي
عَيِّتُ فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابًا
فَهَذَا فَعَلُ شَيْخِنَا جَمِيعًا
أَرَادَا لِي الْبَلِيَّةَ وَالْعَذَابَا

أَضْوَاءُ سَنَا بَرَقَ بَدَا لَكَ لَمْعُهُ

أَضْوَاءُ سَنَا بَرَقَ بَدَا لَكَ لَمْعُهُ
بِذِي الْأَثَلِ مِنْ أَجْرَاعِ بَيْشَةَ تَرْقُبُ
نَعَمْ إِنِّي صَبُّ هُنَاكَ مَوَكَّلُ
بِمَنْ لَيْسَ يُدْنِينِي وَلَا يَنْقَرِبُ
وَمَنْ أَشْتَكِي مِنْهُ الْجَفَاءَ وَحُبَّهُ
طَرَائِفُ كَانَتْ زَوْءَ مَنْ يَحْبِبُ
عَفَا اللَّهُ عَنِ أُمَّ الْوَلِيدِ أَمَا تَرَى
مَسَاقِطَ حُبِّي كَيْفَ بِي تَتَلَعَّبُ
فَتَأْوِي لِمَنْ كَادَتْ تُغِيظُ حَيَاتُهُ
غَدَاةَ سَمْتِ نَحْوِي سَوَائِرُ تَنْعَبُ
وَمِنْ سَقَمِي مِنْ نِيَّةِ الْحِبِّ كُلَّمَا
أَتَى رَاكِبٌ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ يَضْرِبُ
مَرَضْتُ فَجَاؤُوا بِالْمَعَالِجِ وَالرَّقِي
وَقَالُوا: بِصَيْرٍ بِالدَّوَاءِ مُجْرَبُ
أَتَانِي فِدَاوَانِي وَطَالَ كَخْتِلَافُهُ
إِلَيَّ فَأَعْيَاهُ الرَّقِيَّ وَالتَّطِيبُ
وَلَمْ يُعْنِ عَنِّي مَا يُعْقَدُ طَائِلًا
وَلَا مَا يُمْتَنِيهِ الطَّيِّبِ الْمُجْرَبُ
وَلَا نَشْرَاتُ بَاتَ يَغْسَلُنِي بِهَا

إِذَا مَا بَدَأَ لِي الْكُوكَبُ الْمُتَّصِبُ
وَبَاتُوا وَقَدْ زَالَتْ بِلُبْنَانَكَ جَسْرَةٌ
سُبُوحٌ وَمَوَارُ الْمَلَاطِينِ أَصْهَبُ
تُظَنُّ مِنَ الظَّنِّ الْمُكْذِبِ أَنَّهُ
وَرَاكِبُهُ دَارًا بِمَكَّةَ يَطْلُبُ
فَلَا وَالَّذِي مَسَّحَتْ أَرْكَانَ بَيْتِهِ
أَطُوفُ بِهِ فِيمَنْ يَطُوفُ وَيَحْصِبُ
نَسَيْتِكَ مَا أُرْسَى ثَبِيرٌ مَكَانَهُ
وَمَا دَامَ جَارًا لِلْحَجَّوْنَ الْمُحْصِبُ
وَمَا سَجَعَتْ وَرَقَاءُ تَهْتَفُ بِالضُّحَى
تُصَعَّدُ فِي أَفْئَانِهَا وَتُصَوَّبُ
وَمَا أَمْطَرَتْ يَوْمًا بِنَجْدٍ سَحَابَةٌ
وَمَا اخْضَرَ بِالْأَجْرَاعِ طَلْحٌ وَتَنْصِبُ
أَلَا إِنَّ فِي الْيَأْسِ الْمُفْرَقِ رَاحَةً
سَيَسْئَلُكَ عَمَّنْ نَفَعَهُ عَنكَ يَعْرُبُ
فَكُلُّ الَّذِي قَالُوا بَلَوْتُ فَلَمْ أَحْذُ

لِذِي الشَّجْوِ أَشْفَى مِنْ هَوَى حِينَ يَقْرُبُ
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَمَا لَاحَ وَهْنًا فِي دُجَى اللَّيْلِ كُوكَبُ
فَلَسْتُ بِمَبْتَاعٍ وَصَالًا يُوصلُهَا
وَلَسْتُ بِمَغْشٍ سِرَّهَا حِينَ أَغْضِبُ

لَقَدْ نَادَى الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى

لَقَدْ نَادَى الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى
فَطَارَ الْقَلْبُ مِنْ حَذْرِ الْغُرَابِ
وَقَالَ: غَدًا تَبَاعَدُ دَارُ لُبْنَى
وَتَتَأَى بَعْدَ وَدٍّ وَأَقْتَرَابِ
فَقُلْتُ: تَعِسَتْ وَيْحَكَ مِنْ غُرَابِ
وَكَانَ الدَّهْرَ سَعْيِكَ فِي تَبَابِ
لَقَدْ أَوْلَعْتَ - لَا لَأَقْبِتَ خَيْرًا -
بِتَقْرِيقِ الْمُحِبِّ عَنِ الْحُبَابِ

أيا كبدًا طارتُ صُدُوعًا نوافذًا

أيا كبدًا طارتُ صُدُوعًا نوافذًا
ويا حَسرتا ، ماذا يُغَلِّلُ في القلب؟
فأقسِمُ ما عُمَّشُ العُيونُ شوَارِفُ
رِوائِمُ بوِّ حائِماتٍ على سَقَبِ
تَسَمِنُهُ لو يَسْتَطَعْنَ ارْتِشِفُهُ
إذا سَقَنَهُ يَزِدُّنَّ نَكْبًا على نَكْبِ
رئِمَنَ فما تَنحاشُ مِنْهُنَّ شارِفُ
وَحالِفَنَ حَبِيسًا في المَحُولِ وفي الجَدْبِ
بأوجدَ مِنِّي يومَ ولتِ حُمولِها
وقَدَ طلعتِ أولى الرِّكابِ مِنَ النَّقَبِ
وَكُلُّ مُلَمَّاتِ الرِّمَّانِ وَجَدَّها
سِوَى فُرْقَةٍ الأَحبابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ
إذا كَفَلْتِ مِنكَ النُّوى ذا مَوَدَّةٍ
حَبِيبًا بِتَصَدَّاعِ مِنَ البَيْنِ ذِي شَعْبِ
أذاقنكَ مرَّ العَيشِ أو مُتَّ حَسْرَةَ
كما ماتَ مَسْفِي الضِّياحِ على أَلْبِ
وقلتُ لِقَلْبِي حينَ لَجَّ بي الهوى
وكلفني ما لا يُطِيقُ مِنَ الحَبِّ :
ألا أَيُّها القَلْبُ الذي قادَهُ الهوى
أفوقَ لا أقرَّ اللهُ عَينَكَ مِنَ قَلْبِ

نُبَّاحُ كَلْبِ باعلى الوادِ مِنْ سَرَفِ

نُبَّاحُ كَلْبِ باعلى الوادِ مِنْ سَرَفِ
أشْهَى إلى النَّفسِ مِنْ تَأْذِينِ أُيُوبِ

يقرُّ بعيني قُربُها ويزيدني

يقرُّ بعيني قُربُها ويزيدني
بها كلفًا من كان عُندي يَعْبِيها
وَكَمْ قانِلٍ قد قال نُبَّ فعصِيته
وَتِلْكَ لَعْمَري تَوْبَةُ لا أَتُوبُها
فيا نفسُ صَبِراً لستِ واللهِ فاعلِمني
بأولِ نَفْسِ غابَ عَنْها حَبِيبُها

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا
فَنَادَيْتُ لِبْنِي بِاسْمِهَا وَدَعَوْتُ
دَعَوْتُ الَّتِي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي
لَفَارَقْتُهَا مِنْ حُبِّهَا وَقَضَيْتُ
بَرَّتْ نَبْلَهَا لِلصَّيْدِ لِبْنِي وَرَيْسَتْ
وَرَيْسَتْ أُخْرَى مِثْلَهَا وَبَرَّيْتُ
فَلَمَّا رَمَيْتِي أَقْصَدْتَنِي بِسَهْمِهَا
وَأَخْطَأْتُهَا بِالسَّهْمِ حِينَ رَمَيْتُ
وَفَارَقْتُ لِبْنِي ضَلَّةً فَكَأَنِّي
قَرَنْتُ إِلَى الْعَيُوقِ ثُمَّ هَوَيْتُ
فَبِأَيِّ لَيْتٍ أَنِّي مُتُّ قَبْلَ فِرَاقِهَا
وَهَلْ تُرْجِعُنِ قُوَّةَ الْقَضِيَّةِ لَيْتُ
فَصِرْتُ وَشَيْخِي كَالَّذِي عَثَرْتُ بِهِ
غَدَاةَ الْوَعَى بَيْنَ الْعُدَاةِ كَمَيْتُ
فَقَامَتْ وَلَمْ تُضِرَّرْ هُنَاكَ سَوِيَّةً
وَقَارَسُهَا تَحْتَ السَّنَابِكِ مَيْتُ
فَإِنْ يَكُ تَهْيَامِي بِلِبْنِي غَوَايَةً
فَقَدْ، يَا ذَرِيحَ بَنِ الْحَبَابِ، غَوَيْتُ
فَلَا أَنْتَ مَا أَمَلْتَنِي فِي رَأْيَتِهِ
وَلَا أَنَا لِبْنِي وَالْحَيَاةَ حَوَيْتُ
فَوَطَّنْ لِهَلْكَ مِثْلِكَ نَفْسًا فَإِنِّي
كَأَنَّكَ بِي قَدْ، يَا ذَرِيحُ، قَضَيْتُ

لَقَدْ عَدَّبْتَنِي يَا حُبَّ لِبْنِي

لَقَدْ عَدَّبْتَنِي يَا حُبَّ لِبْنِي
فَقَعَّ إِمَّا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
فَإِنَّ الْمَوْتَ أَرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ
تُدُومُ عَلَى التَّبَاعُدِ وَالشَّتَاتِ
وَقَالَ الْأَفْرَبِيُّونَ: نَعَزَّ عَنْهَا
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذْنُ حَانَتْ وَقَاتِي

ماتت لبينى فموتها موتي

ماتت لبينى فموتها موتي
هل تفتعن حسرة على القوت
وسوف أبكي بكاء مكثيب
فضى حياةً وهداً على ميت

تباكر أم تروح غداً رواحاً

تباكر أم تروح غداً رواحاً
ولن يستطيع مرتين براحاً
سقيم لا يصاب له دواء
أصاب الحب مقتلته فناحاً
وعذبته الهوى حتى برأه
كبري الفين بالسفن القداحاً
فكاد يذيفه جرع المنايا
ولو سقاء ذلك لاستراحاً

هبيني امرءاً إن تحسني فهو شاكر

هبيني امرءاً إن تحسني فهو شاكر
لذاك وإن لم تحسني فهو صافح
وإن يك أقوام أساؤوا وأهجروا
فإن الذي بيني وبينك صالح
ومهما يكن فالقلب يا لئن ناشر
عليك الهوى ، والجيب ما عشت ناصح
وإنك من لئى العشيّة رايح
مريض الذي تطوى عليه الجوانح
فما وجدت وجلي بها أم واحد
بواحدتها ضمت عليه صافح
وجدت بها وجد المضيل ركابه
بمكة والركبان غاد ورائح

ولو أنني أستطيع صبراً وسلوة

ولو أنني أستطيع صبراً وسلوة
تأسيت لئى غير ما مضى حقد
ولكن قلبي قد تقسمه الهوى
شنتاً فما ألقى صبوراً ولا جلد

سلي الليل عني كيف أرى نجومه
وكيف أفاصي الهمة مستخليا فردا
كان هبوب الريح من نحو أرضكم
يثير فتات المسك والعنبر النداء

عيد قيس من حب لبنى ولبنى

عيد قيس من حب لبنى ولبنى
داء قيس، والحب داء شديد
وإذا عادني العوايد يوماً
قالت العين: لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودني ثم أضي
إنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضم منيها
داء خبل فالقلب منه عميد

لعمري لقد صاح الغراب ببينهم

لعمري لقد صاح الغراب ببينهم
فأوجع قلبي بالحديث الذي يبدي
فقلت له: أفصحت، لا طرت بعدها
بريش! فهل للبين وبك من رد؟

وفي عروة العذري إن مت أسوة

وفي عروة العذري إن مت أسوة
وعمر بن عجلان الذي قتلت هند
وبي مثل ما ماتا به غير أنني
إلى أجل لم يأتي وقتي بعده
هل الحب إلا عبرة ثم زفرة
وحر على الأحشاء ليس له برد
وقيض دموع العين بالليل كلما
بدأ علم من أرضكم لم يكن يبدو

ويلى وعولي وما لي حين تفلتي

ويلى وعولي وما لي حين تفلتي
من بعد ما أحرزت كفي بها الطفرا
فد قال قلبي لطرفي وهو يعدله:

هَذَا جَزَاؤُكَ مِنِّي فَاعْدُمِ الْحَجَرَ
قَدْ كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْهَا لَوْ تَطَاوَعُنِي
فَكَصِيرٌ فَمَا لَكَ فِيهَا أَجْرٌ مَن صَبْرًا

بِنَفْسِي مَن قَلْبِي لَهُ الدَّهْرَ ذَاكِرُ

بِنَفْسِي مَن قَلْبِي لَهُ الدَّهْرَ ذَاكِرُ
وَمَن هُوَ عَنِّي مُعْرَضُ الْقَلْبِ صَابِرُ
وَمَن حُبُّهُ يَزِدُّدَاؤُ عِنْدِي جِدَّةً
وَحُبِّي لَدَيْهِ مُخْلِقُ الْعَهْدِ دَائِرُ

خُذُوا بَدْمِي - إِنْ مُتُّ - كُلَّ خَرِيدَةٍ

خُذُوا بَدْمِي - إِنْ مُتُّ - كُلَّ خَرِيدَةٍ
مَرِيضَةٌ جَفْنَ الْعَيْنِ وَالطَّرْفِ فَاتِرُ

أَرَى بَيْتَ لُبْنَى أَصْبَحَ الْيَوْمَ يُهْجَرُ

أَرَى بَيْتَ لُبْنَى أَصْبَحَ الْيَوْمَ يُهْجَرُ
وَهَجْرَانُ لُبْنَى - يَا لَكَ الْخَيْرُ - مُنْكَرُ
أَتَبْكِي عَلَيَّ لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا ؟
وَكُنْتَ عَلَيْهَا بِالْمَلَأَ أَنْتَ أَقْدَرُ
فَإِنْ تُكُنِ الدُّنْيَا بِلُبْنَى تَقَلَّبَتْ
عَلَيَّ فَلِلدُّنْيَا بُطُونٌ وَأَطْهَرُ
لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعُ
وَاللَّكْفَ مَرْتَادٌ وَلِلْعَيْنِ مَنْظَرُ
وَاللَّحَائِمِ الْعَطْشَانَ رِيٌّ بِرَيْقِهَا
وَاللْمَرْحِ الْمَخْتَالَ خَمْرٌ وَمُسْكَرُ
كَأَنِّي فِي أَرْجُوْحَةٍ بَيْنَ أَحْبَلٍ
إِذَا ذُكِرَتْ مِنْهَا عَلَيَّ الْقَلْبُ تَخْطُرُ

وَدَدْتُ مِنَ الشَّقْوَى الَّذِي بِي أَنْتِي

وَدَدْتُ مِنَ الشَّقْوَى الَّذِي بِي أَنْتِي
أَعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَاطِيرُ
فَمَا فِي نَعِيمٍ بَعْدَ فَقْدِكَ لَدَّةً
وَلَا فِي سُرُورٍ لَسْتُ فِيهِ سُرُورُ
وَإِنَّ كَمْرًا فِي بَلْدَةٍ يَنْصَفُ نَفْسِهِ
وَيَنْصَفُ بِأَخْرَى إِنَّهُ لَصَبُورُ

تَعَرَّفْتُ جُنْمَانِي أَسِيرًا بِلِدَّةٍ
وَقَلْبِي بِأُخْرَى غَيْرَ تِلْكَ أَسِيرُ
أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ وَيْحَكَ نَبْنِي
بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِشَيْءٍ عِلْمَتُهُ
فَلَا طَرُتُ إِلَّا وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
وَدُرْتُ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ
كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي
بُخْبِرُ كَمَا خَبَّرْتَ بِالنَّأْيِ وَالشَّرِّ
وَوَخَّبَرْتَ أَنْ قَدْ جَدَّ بَيْنٌ وَقَرَّبُوا
جَمَالًا لِبَيْنِ مُثْقَلَاتٍ مِنَ الْعَدْرِ
وَهَجَّتْ قَدَى عَيْنِ بِلُبْنَى مَرِيضَةً
إِذَا ذُكِرَتْ فَاصْتَمَ مَدَامُعُهَا تَجْرِي
وَقُلْتَ كَذَاكَ الدَّهْرُ مَا زَالَ فَاجِعًا
صَدَقْتَ! وَهَلْ شَيْءٌ بَبَاقٍ عَلَى الدَّهْرِ؟

فَإِنْ يَحْجِبُوهَا، أَوْ يَحُلْ دُونَ وَصْلِهَا

فَإِنْ يَحْجِبُوهَا، أَوْ يَحُلْ دُونَ وَصْلِهَا
مَقَالَةٌ وَاشْ، أَوْ وَعِيدُ أَمِيرٍ
فَلَمْ يَمْنَعُوا عَيْنِيَّ مِنْ دَائِمِ الْبُكَاءِ
وَلَنْ يَمْلِكُوا مَا قَدْ يَجُنُّ ضَمِيرِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو مَا أَلَاقِي مِنَ الْهَوَى
وَمِنْ كُرْبٍ تَعْتَادَنِي وَزَفِيرٍ
وَمِنْ كُرْبٍ لِلْحَبِّ فِي بَاطِنِ الْحَشَاءِ
بِأَنْعَمِ حَالِي غِبْطَةً وَسُرُورٍ
فَمَا يَرَحُ الْوَاشُونَ، حَتَّى بَدَتْ لَنَا
بَطُونُ الْهَوَى مَقْلُوبَةً بَطْهُورٍ
لَقَدْ كُنْتُ حَسْبَ النَّفْسِ لَوْ دَامَ وَصَلْنَا
وَلَكِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاغٌ غُرُورٍ
سَابِكِي عَلَى نَفْسِي بَعِينِ غَزِيرَةٍ
بُكَاءَ حَزِينٍ، فِي الْوَثَاقِ، أَسِيرٍ

وكنّا جميعاً قبل أن يظهرَ النوى ،
لو كنّا كمرّاً أخفى الهوى عن ضميره

إذا عيبتها شبّهتها البدرَ طالعا

إذا عيبتها شبّهتها البدرَ طالعا
وحسبك من عيب لها شبهة البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثلما
على ألف شهر فضلت ليلة القدر
إذا ما مشت شبرا من الأرض أرجفت
من البهر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتج منها إذا مشت
و متنّ كعصن البان مضطمر الخصر

ألا ليت لبنى في خلاء تزورني

ألا ليت لبنى في خلاء تزورني
فأشكو إليها لو عتي ثم ترجع
صحا كل ذي لب وكلّ متيم
و قلبي بلبنى ما حبيت مروغ
فيا من لقلب ما يفيق من الهوى
ويا من لعين بالصباية تدمع

عفا سرف من أهله فسراوغ

عفا سرف من أهله فسراوغ
فجذبنا أريك فالثلاغ الدوافع
طمعت بليلي أن تريع وإنما
نقطع أعناق الرجال المطامع
أتصبر للبين المثبت مع الجوى
فقد كنت أبكي والنوى مطمئة
بنا وبكم من علم ما البيئ صانع
نهاري نهار الناس حتى إذا بدا
لي الليل هزنتي إليك المضاجع
أفضي نهاري بالحديث وبالمنى
ويجمعني بالليل والهّم جامع
إذا نحن أنفدنا البكاء عشيّة
فمؤدنا قرن من الشمس طالع

أبني لقد جئت عليك مصيبتني

أبني لقد جئت عليك مصيبتني
غداة غد إذا حلّ ما أتوقّع
ثمّينني نيلاً وتلوينني به
فنفسي شوقاً كلّ يوم تقطع
وقلبك قطماً ما يلين لما يرى
فوا كبدي قد طال هذا التضرّع
ألومك في شأني وأنت مليمة
لعمري وأجفى للمحبّ وأقطع
أخبرتني أنك فيك ميّت حسرتي
فما فاض من عينيك للوجد مدّمع
ولكن لعمري قد بكيتك جاهداً
وإن كان دائي كلُّه منك أجمع
صبيحة جاء العائدات يعذني
فطلت عليّ العائدات تفجع
فقائلة: جئنا إليه وقد قضى
وقائلة: لا، بل تركناه ينزع
فما غشيت عينيك من ذلك عبّرة
وعيني على ما بي بذكرالك تدمع
إذا أنت تبكي عليّ جنازة
لديك فلا تبكي غداً حين أرفع

ألا يا شبة لبني لا تراعي

ألا يا شبة لبني لا تراعي
ولا تتيممي قلل القلاع
فواكبدي وعاودني رداعي
وكان فراق لبني كالخداع
تكلفني الوشاة فأزعجوني
فيا للناس للواشي المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسي
على شيء وليس بمستطاع
كمعبون بعض على يديه
تبيّن عبّته بعد البياع
بدار مضيعة تركتك لبني

كذاك الحين يُهدى للمضاع
وقد عشنا نلذ العيش حيناً
لو كنّ الدهر للإنسان راع
ولكنّ الجميع إلى افتراق
وأَسباب الخوف لها دواع

لقد خفت ألا تفنع النفس بعدها

لقد خفت ألا تفنع النفس بعدها
بشيء من الدنيا إن كان مقنعا
وازجر عنها النفس إذا حيل دونها
وتأبى إليها النفس إلا تطلعا

بليغ إذا يشكو إلى غيرها الهوى

بليغ إذا يشكو إلى غيرها الهوى
وإن هو لأقامها فغير بليغ

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد
لها مثلاً في سائر الناس يُوصفُ
فمنهنَّ حبُّ للحبيب ورحمةٌ
بمعرفةٍ مني بما يتكلفُ
ومنهنَّ ألا يعرض الدهر ذكرها
على القلب إلا كادت النفس تتلفُ
وحبُّ بدأً بالجسم والثون ظاهرُ
وحبُّ لدى نفسي من الروح أطفُ
وحبُّ هو الداء العياء بعينه
له ذكرٌ تعدو عليّ فأدنفُ
فلا أنا منه مستريحٌ فميتُ
ولا هو عليّ ما قد حبيبٌ مخفُ
فيا حبها، ما زلت حتى قتلنتي
ولا أنت، إن طال البلاء لي منصفُ

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف
واقض اللبنة ما قضيت وانصرف
قد كنت أخلف جهداً لا أأرقها
أف لكثرة ذلك القيل والخلف
حتى تكفني الواشون فكفلت
لا تأمن أبداً من غش مكثف
الحمد لله قد أمست مجاورةً
أهل العقيق وأمسينا على سرف
حي يمانون والبطحاء منزلنا
هذا لعمرك شمل غير مؤلف

كيف السلو ولا زال أرى لها

كيف السلو ولا زال أرى لها
ربعا كحاشية اليماني المخلق
ربعا لواضحة الجبين غريرة
كالشمس إذا طلعت رخم المنطق
قد كنت أعهد لها به في عزرة
والعيش صاف والعدى لم تنطق
حتى إذا تطفوا وأذان فيهم
داعي الشتات برحلة وتفرق
خلت الديار فزرتها وكأني
دو حية من سمها لم يعرق

يقولون: لبني فينة كنت قبلها

يقولون: لبني فينة كنت قبلها
بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي
وأقررت عين الشاميت المخلق
وبدت وبيت الله أني عصيهم
وحملت في رضوانها كل موبق
وكلقت خوض البحر والبحر زاجر
أبيت على أنجاج موج معرق
كأني أرى الناس المحبين بعدها

عُصَارَةَ مَاءِ الْحَنْظَلِ الْمُتَعَلِّقِ
فَتُنْكِرُ عَيْنِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْظَرٍ
وَيَكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقٍ

جَزَى الرَّحْمَنَ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي

جَزَى الرَّحْمَنَ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي
عَلَى الْإِحْسَانِ خَيْرًا مِنْ صَدِيقٍ
فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيعًا
فَمَا أَلْفَيْتُ كَكَبْنِ أَبِي عَنِيْقٍ
سَعَى فِي جَمْعِ شَمْلِي بَعْدَ صَدْعٍ
وَرَأَيْ حُدُثَ فِيهِ عَنِ الطَّرِيقِ
وَأَطْفَأَ لَوْعَةً كَانَتْ بِقَلْبِي
أَغْصَنْتَنِي حَرَارَتُهَا بِرِيقِي

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ
بِمَا رَحِبْتُ يَوْمًا عَلَيَّ تَضْيِيقُ
تُكَدِّبُنِي بِالْوُدِّ لِبْنِي وَلَيْتَهَا
تُكَلِّفُ مَنِّي مِثْلَهُ فَنُدُوقُ
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْعَيْبَ أُيَقِنْتَ أَنِّي
لَكُمْ وَالْهَدَايَا الْمُسْعِرَاتِ صَدِيقُ
تَتَوَقُّ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا
حَيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ
أَذُودُ سَوَامِ الطَّرْفِ عَنكَ وَمَا لَهُ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْنِكَ طَرِيقُ
فَانِي وَإِنْ حَالَتِ صَرْمِي وَهَجَرْتَنِي
عَلَيْكَ مِنْ كَحْدَاتِ الرَّدَى لَشَفِيقُ
وَلَمْ أَرَ أَيَّامًا كَأَيَّامِنَا الَّتِي
مَرَرْنَا عَلَيْنَا وَالزَّمَانَ أُنِيقُ
وَوَعْدُكَ إِيَانًا وَلَوْ قُلْتَ عَاجِلٌ
بَعِيدٌ كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ سَحِيقُ
وَحَدَّثْتَنِي يَا قَلْبُ أُنْكَ صَابِرٌ
عَلَى الْبَيْنِ مِنْ أَلْبَنِي فَسَوْفَ تَدُوقُ
فَمَنْتُ كَمَدًا أَوْ عِشْتُ سَقِيمًا فَإِنَّمَا

تُكَلِّفُنِي مَا لَا أَرَاكَ تُطِيقُ
أَطَعْتَ وَشَاءَ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِمْ
خَلِيلٌ وَلَا جَارٌ عَلَيْكَ شَفِيقٌ
فَإِنْ تَأْتُكَ لَمَّا تَسْأَلُ عَنْهَا فَإِنِّي
بِهَا مُعْرَمٌ صَبُّ الْفُؤَادِ مَشُوقٌ
يَهْيِجُ بِلَبْنِي الدَّاءَ مِئِّي وَلَمْ تَزَلْ
حُسْنًا سَأَسْأَلُ نَفْسِي لِلْخُرُوجِ تَثُوقٌ
وَيُنِنِي لَكَ الدَّاعِي بِهَا فُتْفِقُ
شَهِدْتُ عَلَى نَفْسِي بِأَنَّكَ غَادَةٌ
رَدَاخٌ وَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْكَ عَتِيقُ
وَأَنَّكَ لَا تُجْزِيَنِي بِصَحَابَةٍ
وَلَا أَنَا لِلْهَجْرَانِ مِنْكَ مُطِيقُ
وَأَنَّكَ قَسَمْتَ الْفُؤَادَ قِنِصْفُهُ
رَهِينٌ وَنِصْفُ فِي الْحِبَالِ وَثِيقُ
صَبَّوحِي إِذَا مَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ ذِكْرُكُمْ
وَلِي ذِكْرُكُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ غَبُوقُ
إِذَا أَنَا عَزَيْتُ الْهُوَى أَوْ تَرَكَتُهُ

أَتَتْ عِبْرَاتٌ بِالذُّمِّعِ تُسَوِّقُ
كَأَنَّ الْهُوَى بَيْنَ الْحَبَايِمِ وَالْحَسَنَاتِ
وَبَيْنَ النَّرَاقِي وَاللَّهَائِمِ حَرِيقُ
فَإِنْ كُنْتُ لِمَا تَعْلَمِي الْعِلْمَ فَاسْأَلِي
فَبَعْضُ لِبَعْضٍ فِي الْفَعَالِ فُوقُ
سَلِي هَلْ قَلَانِي مِنْ عَشِيرِ صَحْبِيهِ
وَهَلْ مَلَّ رَحْلِي فِي الرَّفَاقِ رَفِيقُ
وَهَلْ يَجْنُوِي الْقَوْمُ الْكِرَامُ صَحَابَتِي
إِذَا اغْبَرَّ مَخْشِي الْفَجَاجِ عَمِيقُ
وَأَكْتُمُ أَسْرَارَ الْهُوَى فَأَمِيقُهَا
إِذَا بَاحَ مَزَاحَ بَهَنَ بَرُوقُ
سَعَى الدَّهْرُ وَالْوَأَشُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَقُطِعَ حَبْلُ الْوَصْلِ وَهُوَ وَثِيقُ
هَلْ الصَّبْرُ إِلَّا أَنْ أُصَدَّ فَلَا أَرَى
بِأَرْضِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَرِيقُ

أريدُ سلواً عنكم فيردني
عليك من النفس الشجاع فريق

أثبتت أن لخالي هجمةً حُبساً

أثبتت أن لخالي هجمةً حُبساً
كأنهنَّ بجنبِ المشعرِ النُّصلُ
قد كُنتَ فيما مضى قدماً تُجاورنا
لا ناقةٌ لك ترعاهَا ولا جملُ
ما ضر خليَ عمراً لو تقسمها
بعضُ الحياضِ وجمُ البئرِ مُحْتَمِلُ

بانتُ لبيئتي فأنتَ اليومَ مَبْجُولُ

بانتُ لبيئتي فأنتَ اليومَ مَبْجُولُ
وإنك اليومَ بعدَ الحزمِ مَحْبُولُ
فأصبحتَ عنك لبيئتي اليومَ نازحةً
ودلُّ لبيئتي لها الخيراتُ مَعْسُولُ
هل ترجعنَّ نوى لبيئتي بعاقبةً
كما عهدتَ ليالي العشقِ مَقْبُولُ
وقد أراني بلبيئتي حقَّ مَقْتَبِعِ
والشمْلُ مجتمِعُ والحبلُ مَوْصُولُ
فصيرتُ من حُبِّ لبيئتي حينَ أذكرها
القلبُ مرثَهنَّ والعقلُ مَنحُولُ
أصبحتُ من حُبِّ لبيئتي بل تذكُرها
في كربةٍ ففؤادي اليومَ مَسْعُولُ
والجسمُ مبيّ منهوكٌ لفرقتيها
يبريه طولُ سقامٍ فهو مَنحُولُ
كأنتي يومَ ولت ما تكلمني
أحر هيامٍ مُصابُ القلبِ مَسْلُولُ
أستودعُ الله لبيئتي إذ تفارقني
بالرغمِ مبيّ وأمرُ الشيخِ مَفْعُولُ

ألا يا ربعَ لبيئتي ما تقولُ ؟

ألا يا ربعَ لبيئتي ما تقولُ ؟
أين لي اليومَ ما فعلَ الحلولُ
قلو أنَّ الديارَ تُحيبُ صَباً

لرَدَّ جَوَابِي الرَّبْعَ الْمُحِيلُ
ولوْ أَنِّي قَدَرْتُ غَدَاةَ قَالَتْ :
غَدَرْتُ وَمَاءُ مُقْلَتِيهَا يَسِيلُ
نَحَرْتُ النَّفْسَ حِينَ سَمِعْتُ مِنْهَا
مَقَالَتَهَا وَذَاكَ لَهَا قَلِيلُ
شَفَيْتُ غَلِيلَ نَفْسِي مِنْ فِعَالِي
وَلَمْ أُعْثِرْ بِلا عَقْلِ أَجُولُ
كَأَنِّي وَاللهُ بِفِرَاقِ لُبْنَى
تَهِيمٌ بِفَقْدِ وَاحِدِهَا تَكُولُ
أَلَا يَا قَلْبُ وَيَحْكَ كُنْ جَلِيداً
فَقَدْ رَحَلْتِ وَفَاتِ بِهَا الدَّمِيلُ
فإِنَّكَ لَا تُطِيقُ رُجُوعَ لُبْنَى
إِذَا رَحَلْتِ وَإِنْ كَثُرَ العَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ عَشِنْتَ كَمْ بِالْفُرْبِ مِنْهَا
وَلَكِنَّ الفِرَاقَ هُوَ السَّبِيلُ
فصبراً كُلُّ مُوتَلِفِينَ يَوْمَا
مِنَ الأَيَّامِ عَيْشُهُمَا يَزُولُ

أَنْ تَكُ لُبْنَى قَدْ أَتَى دُونَ قُرْبِهَا

أَنْ تَكُ لُبْنَى قَدْ أَتَى دُونَ قُرْبِهَا
حِجَابٌ مَنِيْعٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فإِنَّ نَسِيمَ الجَوِّ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَنُبْصِرُ قَرْنَ الشَّمْسِ حِينَ تَزُولُ
وَأرواحُنَا بِاللَّيْلِ فِي الحَيِّ تَلْتَقِي
وَنَعْلَمُ أَنَّا بِالنَّهَارِ نَقِيلُ
وَتَجْمَعُنَا الأَرْضُ القَرَارُ وَفوقْنَا
سَمَاءٌ نَرَى فِيهَا النُّجُومَ تَجُولُ
إِلَى أَنْ يَعُودَ الدَّهْرُ سَلْمًا وَتَنْقُضِي
تَرَاتُ بِغَاها عِنْدَنَا وَدُحُولُ

وَيَوْمَ مَنَى أَعْرَضْتَ عَنِّي فَلَمْ أَقُلْ

وَيَوْمَ مَنَى أَعْرَضْتَ عَنِّي فَلَمْ أَقُلْ
بِحَاجَةِ نَفْسِي عِنْدَ لُبْنَى مَقَالِهَا

وفي اليأس للنفس المريضة راحة
إذا النفس رامت خطه لا تنالها

وَاللَّحَبَّ آيَاتٌ تُبَيِّنُ اللَّفْتَى

وَاللَّحَبَّ آيَاتٌ تُبَيِّنُ اللَّفْتَى
شُحُوباً وَتَعْرِى مِنْ يَدَيْهِ الْأَسَاجِمُ

أُرِيدُ سُلُوءاً عَنِ لُبِّي وَذِكْرَهَا

أُرِيدُ سُلُوءاً عَنِ لُبِّي وَذِكْرَهَا
فَيَأْبَى فُؤَادِي الْمُسْتَهَامُ الْمُتَيْمُ
إِذَا قُلْتُ : أَسْأَلُهَا تَعَرَّضَ ذِكْرُهَا
وَعَاوَدَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ
صَحَا كُلُّ ذِي وَدَّ عَلِمْتُ مَكَانَهُ
سِوَايَ فَإِنِّي ذَاهِبُ الْعَقْلُ مُعْرَمُ

بَانَتْ لُبِّي فَهَاجَ الْقَلْبَ مِنْ بَانَا

بَانَتْ لُبِّي فَهَاجَ الْقَلْبَ مِنْ بَانَا
وَكَانَ مَا وَعَدْتُ مَطْلًا وَلِيَانَا
وَأَخْلَقْتَكِ مَنَى قَدْ كُنْتَ تَأْمَلُهَا
فَأَصْبَحَ الْقَلْبُ بَعْدَ الْبَيْنِ حَيْرَانَا
اللَّهُ يَدْرِي وَمَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ
مَاذَا أَجْمَعُ مِنْ ذِكْرِكَ أَحْيَانَا
يَا أَكْمَلَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ
وَأَحْسَنَ النَّاسِ ذَا تَوْبٍ وَعُرْيَانَا
نَعْمَ الضَّجِيعُ بَعِيدَ النَّوْمِ تَجْلِبُهُ
إِلَيْكَ مُمْتَلَأًا نَوْمًا وَيَقْطَانَا
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ كَانَ يَحْسِبُكُمْ
إِلَّا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا
حَتَّى كَسْتَفَقْتُ أُخِيرًا بَعْدَمَا نُكِحْتُ
كَأْتَمَا كَانَ ذَلِكَ الْقَلْبُ حَيْرَانَا
قَدْ زَارَنِي طَيْفُكُمْ لَيْلًا فَأَرَقَنِي
فَبِتُّ لِلشَّوْقِ أَذْرِي الدَّمْعَ تَهْتَانَا
إِنْ تَصْرَمِي الْحَبْلُ أَوْ تُمَسِي مُفَارِقَةً
فَالذَّهْرُ يُحَدِّثُ لِلإِنْسَانِ أَلْوَانَا

وما أرى مثلكم في النَّاسِ مِنْ بَشَرٍ
فقد رأيت به حياً ونسوانا

أقولُ لخلتي في غير جرم

أقولُ لخلتي في غير جرم
ألا بيني، بنفسِي أنت! بيني
فو الله العظيم لنزغ نفسي
وقطع الرجل مبي واليمين
أحبُّ إليَّ يا لبني فراقاً
فبكي للفرّاق وأسعديني
ظلمتُك بالطلاق بغير جرم
فقد أذهبتُ آخرتي وديني

رحلتُ إليه من بلدي وأهلي

رحلتُ إليه من بلدي وأهلي
فجازاني جزاء الخائنيننا
فمن راني فلا يعتزُّ بعدي
بحلو القول أو ببلو الدفينا

بكيْتُ، نعم بكيتُ وكلُّ إلفٍ

بكيْتُ، نعم بكيتُ وكلُّ إلفٍ
إذا بانَّتْ قرينتُهُ بكَاها
وما فارقتُ لبني عن تقالٍ
ولكن شقوةً بلغتْ مداها
وأنتِ بذكرِ لبني مُستَهامٌ
مُعنى حيثُ ما شحطتْ نواها

حلفتُ لها بالمشعريين وزمزم

حلفتُ لها بالمشعريين وزمزم
وذو العرش فوق المُقسمين رقيبُ
لئن كان بردُ الماءِ حرّاً صادياً
إليَّ حبيباً إنَّها لحبيبُ

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة
غزالٌ غضيضُ المقلتين ربيبُ
فلا تحسبي أنَّ الغريبَ الذي نأى
ولكنَّ من تنأين عنه غريبُ

كأنَّ القلبَ ليلةً قيلَ يُعدى

كأنَّ القلبَ ليلةً قيلَ يُعدى
بليلي العامرية أو يراحُ
قطاةً عزَّها شرك فباتت
تجاذبه وقد علق الجناحُ

فإنَّ دكرتُ هشتتُ لذكرها

فإنَّ دكرتُ هشتتُ لذكرها
كما هسَّ للندى الدرور وليدُ
أجيبُ بلبني من دعاني تجدأ
وبي زفراتُ تنجلي وتعودُ
تُعيدُ إلى رُوحِي الحياةَ وإنني
بنفسي لو عاينتني لأجودُ
ألا ليت أياماً مضين تعودُ
فإنَّ عدنَ يوماً إنني لسعيدُ
سقى دار لبني حيث حلت وخيمتُ
من الأرض منهلُ الغمام رعيدُ
على كلِّ حالٍ إن دنتُ أو تباعدتُ
فإنَّ تدنُّ منَّا فالدنوُ مزيدُ
فلا اليأسُ يسليني ولا القربُ نافعِي
ولبني مئوعٌ ما تكادُ تجودُ
كأنِّي من لبني سليمٍ مسهدُ
يَظُلُّ على أيدي الرجالِ يَمِيدُ
رَمَثِي لُبَيْتِي فِي الْفَوَادِ بِسَهْمِهَا
وَسَهْمُ لُبَيْتِي لِلْفَوَادِ صَيُودُ
سلا كلُّ ذي شجرٍ علمتُ مكانه
وقلبي للبنى ما حبيبتُ ودودُ
وقائلةٍ قد ماتت أو هو ميِّتُ

وَلِلنَّفْسِ مَيِّ أَنْ تَقِيضَ رَصِيدُ
أَعَالِجُ مِنْ نَفْسِي بَقَايَا حُسْنَانَةٍ
عَلَى رَمَقٍ، وَالْعَائِدَاتُ تُعَوِّدُ

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا
وَمِنْ بَعْدَمَا كُنَّا نَطَافًا فِي الْمَهْدِ
فَزَادَ كَمَا زِدْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيًا
فَلَيْسَ وَإِنْ مَثْنَا بِمَنْصِمِ الْعَهْدِ
وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ
وَزَايِرُنَا فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ
يَكَادُ حَبَابُ الْمَاءِ يَخْدَشُ جِلْدَهَا
إِذَا اغْتَسَلْتَ بِالْمَاءِ مِنْ رَقَّةِ الْجِلْدِ
وَإِنِّي أَشْتَاقُ إِلَى رِيحِ جِيبِهَا
كَمَا أَشْتَاقُ إِدْرِيسُ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَلَوْ لَيْسَتْ ثَوْبًا مِنَ الْوَرْدِ خَالصًا
لَخَدَّشَ مِنْهَا جِلْدَهَا وَرَقُّ الْوَرْدِ
يُنْقَلِهَا لِبَسِ الْحَرِيرِ لِلْبَيْنِهَا
وَتَشْكُو إِلَى جَارَاتِهَا ثَقْلَ الْعَقْدِ
وَأَرْحَمُ حَدِيثِهَا إِذْ مَا لَحَظْتُهَا
حَذَارًا لِلْحَظِي أَنْ يُوَثِّرَ فِي الْخَدِّ

صَدَعَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرَتْ فِيهِ

صَدَعَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرَتْ فِيهِ
هُوَ الْفَلِيمُ فَالْتَأَمَ الْفُطْرُ
تَعَلَّلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ
وَلَا حَزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ لَوْنِكَ شَاحِبٌ

أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ لَوْنِكَ شَاحِبٌ
وَأَنْتَ بِلُوعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرُ
فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا تَقُولُ فَأَصْبَحْتُ
هَمُومًا سَنَى بِنُهْنٍ كَثِيرُ

سَأْصِرُمْ - لُبْنَى - حَبْلٌ وَصَلِكٌ مُجْمَلًا

سَأْصِرُمْ - لُبْنَى - حَبْلٌ وَصَلِكٌ مُجْمَلًا
وإن كان صرْمُ الحَبْلِ مِنْكَ يَرْوَعُ
وَسَوْفَ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْكَ كَمَا سَلَا
عَنْ البَلَدِ النَّائِي البَعِيدِ نَزِيْعُ
وإن مَسَّنِي لِلصَّرِّ مِنْكَ كَأَبَةٍ
وإن نال جسمي للفراق خُشُوْعُ
أَرَاجِعَةٌ يَا لَيْنُ أَيَّامَنَا الأَلَى
بذي الطَّلَحِ أم لا ما لَهْنٌ رُجُوْعُ
سقى طَلَلَ الدَّارِ التي أَنْتُمْ بها
حياً تُم وَبَلَّ صَيْفٌ وَرَبِيْعُ
يُفَوِّلونَ: صَبُّ بالنِّسَاءِ مُوَكَّلٌ
وما ذاك مِنْ فِعْلِ الرَّجَالِ بَدِيْعُ
مضى زَمَنٌ والنَّاسُ يَسْتَشْفِعُونَ بي
فهلْ لي إلى لُبْنَى الغدَاةَ شَفِيْعُ
أيا حِرْجَاتِ الحَيِّ كيفَ تَحْمَلُوا
بذي سَلْمٍ لا جَادِكُنَّ رَبِيْعُ
وَخَيْمَاتِكِ اللاتِي بِمُنْعَرَجِ اللوى
بَلِيْنٌ بلىٌ لَمْ تُبْلِهَنَّ رُيُوْعُ
إلى الله أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتِ العِصَا
هيَ اليَوْمَ شَتَى وَهيَ أَمْسَ جَمِيْعُ
وَمَا كَادَ قَلْبِي بَعْدَ أَيَّامٍ جَاوَزَتْ
إليَّ بِأَجْرَاعِ النُّدِيِّ يَرِيْعُ
فإنَّ انْهَمَالَ العَيْنِ بِالدَّمْعِ كُلِّمَا
ذَكَرْتُكَ وَحَدِي خَالِيًا لَسْرِيْعُ
فلَوْ لَمْ يَهْجِنِي الطَّاعُونَ لَهَاجِنِي
حَمَائِمُ وَرُقٌ فِي الدِّيَارِ وَقَوْعُ
تَجَاوَبْنَ فَكَسَبَكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى
نَوَائِحَ ما تَجْرِي لِهِنَّ دُمُْعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ جِرْعَاءِ مَالِكِ
لِعَاصِ لِأَمْرِ المُرْشِدِينَ مُضِيْعُ
نَدَمْتُ عَلَى ما كَانَ مِنِّي فَقَدْتُنِي
كَمَا يَنْدَمُ المَعْتُونُ حِينَ يَبِيْعُ
إِذَا ما لِحَانِي العَاذِلَاتُ بِحُبِّهَا

أَبْتُ كَبِدُ مِمَّا أُجِنُ صَدِيعُ
وَكَيْفَ أَطِيعُ الْعَاذِلَاتِ وَحُبُّهَا
يُورِّقُنِي وَالْعَاذِلَاتُ هُجُورُ

عَدْمُكَ مِنْ نَفْسِ شَعَاعٍ فَإِنِّي
نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَرَّبْتِ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتِ
هُنَاكَ تَنَابَا مَا لَهْنُ طُلُوعُ
فَضَعَفَنِي حُبِّيكَ حَتَّى كَأَنَّي
مِنْ الْأَهْلِ وَالْمَالِ التَّلَادِ خَلِيعُ
وَحَتَّى دَعَانِي النَّاسُ أَحْمَقَ مَائِقًا
وَقَالُوا مَطِيعَ لِلضَّلَالِ ثُبُوعُ

لِعَمْرِكَ إِنِّي لِأَحِبُّ سَلْعَا

لِعَمْرِكَ إِنِّي لِأَحِبُّ سَلْعَا
لِرُؤْيَيْهَا وَمَنْ بِجُنُوبِ سَلْعِ
تَقَرُّ بِقَرَبِهَا عَيْنِي وَإِنِّي
لَأَخْشَى أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ فَجْعِي
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى
وَأَيْدِي السَّابِحَاتِ غَدَاةَ جَمْعِ
لَأَنْتِ عَلَى التَّنَائِي فَاعْلَمِيهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصْرِي وَسَمْعِي

بِتُّ وَالْهَمُّ يَا لِبَيْنِي ضَجِيعِي

بِتُّ وَالْهَمُّ يَا لِبَيْنِي ضَجِيعِي
وَجَرَّتْ، مُدُّ نَأَيْتِ عَنِّي، دُمُوعِي
وَتَنَفَّسْتُ إِذْ ذَكَرْتُكَ حَتَّى
زَالَتِ الْيَوْمَ عَنْ فُؤَادِي ضُلُوعِي
أَتَنَاسَاكَ كَيْ يُرِيغَ فُؤَادِي
ثُمَّ يَشْتَدُّ عِنْدَ ذَلِكَ وَلُوعِي
يَا لِبَيْنِي فَدَتِكَ نَفْسِي وَأَهْلِي
هَلْ لِدَهْرٍ مَضَى لَنَا مِنْ رُجُوعِ

وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَعَاقَنِي

وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَعَاقَنِي
عَلَّقَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمٌ

راحوا يصيدون الطباءَ وإنني

راحوا يصيدون الطباءَ وإنني
لأرى تصيِّدُها عليَّ حرامًا
أشبهنَ منك سؤالفاً ومدامعاً
فأرى عليَّ لها بذاك ذماما
أعزز عليَّ بأن أروغَ شبيهها
أو أن يذفن عليَّ يديَّ حماما

ويُقرُّ عينيَّ وهي نازحةٌ

ويُقرُّ عينيَّ وهي نازحةٌ
ما لا يُقرُّ بعينٍ ذي الحلمِ
إنِّي أرى وأظنُّها ستري
وضحَ النهارِ وعليَّ النجمِ

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكَا

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكَا
إلى الله فقدَ الوالدينَ يتيماً
يتيمٌ جفاهُ الأقرَّبونَ فحيسمُهُ
نَحِيلٌ وَعَهْدُ الوالدينَ قديمٌ
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ تَأْيِهِمْ فَتَهَلَّتْ
دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَارِعِينَ أَلُومُ
أُمْسَعِبِرُ بِيكِي مِنْ الشَّوْقِ وَالهُوَى
أَمْ آخِرَ بِيكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ
تَهَيَّضَنِي مِنْ حُبِّ لِبْنِي عِلَاقُ
وَأَصْنَافُ حُبِّ هَوْلُهُنَّ عَظِيمُ
وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حُبَّ لِبْنِي فُوَادُهُ
يَمُتْ أَوْ يَعِشْ مَا عَاشَ وَهُوَ كَلِيمُ
فَإِنِّي وَإِنْ أَجْمَعْتُ عَنْكَ تَجَلْدًا
عَلَى الْعَهْدِ فِيمَا بَيْنَنَا لِمُقِيمُ
وَإِنَّ زَمَانَنَا شَتَّتَ الشَّمْلَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ فِيهِ الْعِدَى لِمَشْوُمُ

أفي الحقّ هذا أنّ قلبك فارغٌ
صحيحٌ وقلبي في هوائك سقيمٌ

وإني لمفن دمع عيني بالبكا

وإني لمفن دمع عيني بالبكا
حذار الذي لمّا يكن وهو كائناً
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ
فراق حبيبٍ لم يبين وهو بائناً
وما كنتُ أخشى أن تكون مبيتي
بكفك إلا أنّ ما حان حائناً

وإني لأهوى النوم في غير حينه

وإني لأهوى النوم في غير حينه
لعلّ لقاءً في المنام يكونُ
تحدثني الأحلامُ أنّي أراكم
فيا ليبتَ أحلامَ المنامِ يقينُ
شهدتُ بأنّي لم أحلّ عن مودةٍ
وأني بكمّ لو تعلّمينَ ضنينُ
وأنّ فؤادي لا يلين إلى هوى
سواك وإن قالوا بلى سيلينُ

تمنّع بها ما ساعفتك ولا تكن

تمنّع بها ما ساعفتك ولا تكن
علّيك شجاً في الحلق حين تبيّن
وإن هي أعطتك اللّيان فإبها
لآخر من خلانها ستلينُ
وإن حلفت لا ينفضُ النأي عهدها
فليس لمخضوبِ النان يمينُ

أليس الليل يجمعني وليلى

أليس الليل يجمعني وليلى
ألا يكفي بذلك من ندان
ترى وضح النهار كما أراه
ويعلوها الظلامُ كما علاني

وما حائمت حَمَنَ يوماً وليلةً

وما حائمت حَمَنَ يوماً وليلةً
على الماء يخشين العصي حَوَانِ
لواغِبُ لا يصدُرْنَ عنه لوجهةٍ
ولا هُنَّ من بردِ الحياضِ دَوَانِ
يرين حبابَ الماءِ والموتِ دُونَهُ
فهنَّ لأصواتِ السُّقاةِ رَوَانِ
بأجهدَ مَيِّ حَرِّ شوقٍ ولوعَةٍ
عليك ولكنَّ العدوَّ عَدَانِي
خليليَّ إني مَيِّتٌ أو مُكَلِّمٌ
لبيئتي بسرِّي فامضياً وذراني
أئلُ حاجتي وحدي ويا ربَّ حاجةٍ
قضيتُ على هولٍ وخوفِ جَنَانِ
فإنَّ أحقَّ النَّاسِ ألا تُجاوزا
وتطرحا مَنْ لو يشاءُ شفاني
ومنَّ قَادني للموتِ حتَّى إذا صَفَتُ
مشاربُهُ السَّمَّ الدُّعافَ سَقَانِي

ألا حيَّ لبيئتي اليومَ إن كُنتَ غاديا

ألا حيَّ لبيئتي اليومَ إن كُنتَ غاديا
والممُّ بها من قبل أن لا تلاقيا
وأهد لها منك النصيحةَ إنَّها
قليلٌ ولا تخش الوشاةَ الأدانيا
وقلُّ إنني والراقصاتِ إلى منيَّ
بأجبلِ جَمعٍ ينتظرن المُناديا
أصونك عن بعضِ الأمورِ مَضَنَّةً
وأخشى عليك الكاشحينَ الأعاديا
تساقطُ نفسي حينَ ألقاكِ أنفُساً
يردُنَ فما يصدُرْنَ إلا صواديا
فإنَّ أحيَّ أو أهلكِ فليستُ بزائلٍ
لكم حافظاً ما بلَّ ريقِي لسانيا
أقولُ إذا نفسي من الوجْدِ أصعدتُ
بها زفرةً تعنادني هي ما هيا
وبينَ الحشَا والنحرِ مَيِّ حرارةً

ولوعةٌ وجدٍ تتركُ القلبَ ساهياً
ألا لئيتَ لئبني لم تكن لي خلةً
ولم ترني لئبني ولم أدر ما هيا
سلي الناس هل خبرتُ سرّك منهم
أخا ثقةٍ أو ظاهر الغش باديا
وأخرج من بين البيوت لعني
أحدثت عنك النفس في السرّ خاليا
يقول لي الواشون لماً تظاهروا
عليك وأضحى الحبل للبين واهيا
لعمري لقبل اليوم حملت ما ترى
وأندرت من لئبني الذي كنت لاقيا
خليلي مالي قد بليت ولا أرى
لئبني على الهجران إلا كما هيا
ألا يا غراب البين ما لك كلما
ذكرت لئبني طرت لي عن شماليا
أعدك علم الغيب أم لست مخبري
عن الحي إلا بالذي قد بدا ليا
فلا حملت رجلاك غشا لبيضة
ولا زال عظم من جناحك واهيا

أحب من الأسماء ما وافق كسمها
وأشبهه أو كان منه مدانيا
ومأ ذكرت عدي لها من سمية
من الناس إلا بلّ دمعي ردائيا
جزعت عليها لو أرى لي مجزعا
وأفئيت دمع العين لو كان فانيا
حياتك لا تغلب عليها فإبه
كفى بالذي نئى لنفسك ناهيا
أشوقا ولما تمض لي غير ليلة
رويد الهوى حتى يعب لياليا
تمر الليالي والشهور ولا أرى
ولو عي بها يرداد إلا تماديا
وقد جمع الله الشئبين بعدما
يظن كل الظن أن لا تلاقيا

فَمَا عَن نَّوَالٍ مِّنْ أُنْبَى زِيَارَتِي
وَلَا قَلْبَةٍ الْإِلْمَامِ أَنْ كُنْتُ قَالِيَا
وَلَكِنَّهَا صَدَّتْ وَحُمِلْتُ مِنْ هَوَى
لَهَا مَا يُنَوِّدُ الشَّمَامَاتِ الرَّوَاسِيَا
وَإِنِّي لَأَسْتَغْثِي وَمَا بَيْنَ نَعْسَةٍ
لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا